

أهداف الدرس

- أن أتعرف محكم الحديث ومختلفه.
- أن أميز بين المحكم والمختلف.
- أن أحرص على العمل بما أعلم.

تمهيد

الحديث المقبول قد يسلم من المعارضة وقد لا يسلم، وإن عورض فإما أن يكون معارضه مقبولا، أو يكون مردودا، فإن كان المعارض مقبولا فقد يكون أقوى منه، وقد يكون مثله. فبما ذا يسمى المقبول السالم من المعارضة؟ وبما ذا يسمى الذي عورض بمثله؟

المتن

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «ثم المقبول: إن سَلِمَ مِنَ المعارضة فهو المُحَكَّم، وإن عُورِضَ بِمِثْلِهِ: فَإِنْ أُمْكِنَ الْجَمْعُ فمُخْتَلَفُ الْحَدِيثِ».

الفهم

الشرح:

عُورِضَ بِمِثْلِهِ: بما يساويه في القبول، وقيل في الرتبة.
المعارضة: معارضة حديث حديثا آخر يناقضه في المعنى.

استخلاص المضامين:

1. أستخلص من المتن تعريف محكم الحديث ومختلفه.
2. أستخلص الفرق بينهما.

التحليل

أولاً: المحكم

1. تعريف المحكم:

أ- لغة: اسم مفعول من أحكمت الشيء: أتقنته، والمحكم: المتقن، وأحكم الكلام أتقنه، والمحكم: الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب [لسان العرب، ابن منظور، 12/141 بتصرف].

ب- اصطلاحاً: الحديث المقبول الذي سلم من المعارضة، فإن عورض فلا يخلو إما أن يكون معارضه مقبولا مثله، أو يكون مردوداً، فالثاني لا أثر له؛ لأن القوي لا يؤثر فيه مخالفة الضعيف، وإن كانت المعارضة بمثله فلا يخلو إما أن يمكن الجمع بين مدلوليهما بغير تعسف، أو لا، فإن أمكن الجمع فهو النوع المسمى: «مختلف الحديث» وإن لم يمكن الجمع فلا يخلو إما أن يعرف التاريخ، أو لا، فإن عرف وثبت المتأخر منهما فهو الناسخ، والآخر المنسوخ (سيأتي بيانه).

2. مثال المحكم:

أمثلة الحديث المحكم كثيرة؛ لأن أكثر الأحاديث لم يعارضها معارض والمعارضة قليلة، ومن أمثلة المحكم: حديث: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». [صحيح مسلم، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب]، وحديث: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ». [صحيح مسلم في أول كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة]، وحديث: «إِذَا وُضِعَ الْعِشَاءُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَبْدَءُوا بِالْعِشَاءِ» [صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة]، وحديث: «لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ» [مصنف عبد الرزاق، كتاب النكاح، باب الشغار]. فهذه أحاديث محكمة ليس لها ما يعارضها، وغيرها كثير.

ثانياً: مختلف الحديث

1. تعريفه:

مختلف الحديث في الاصطلاح: هو الحديث المقبول المعارض بمثله مع إمكان الجمع، ويختلف المراد بمختلف الحديث في الاصطلاح باختلاف ضبط كلمة «مختلف»، فمن المحدثين من ضبطها بكسر اللام على وزن اسم فاعل، ومنهم من ضبطها بفتح اللام على أنه مصدر ميمي؛ أي أنه الحديث الذي وقع فيه الاختلاف؛ فأما على أنه اسم فاعل من اختلف فيعرف بما يأتي: «أن يوجد

حديثان أو أكثر متضادان في المعنى ظاهرا، فيوفق بينهما، أو يعتبر أحدهما ناسخا للآخر، أو يرجح أحدهما على الآخر». [التقريب والتيسير، للنووي، ص: 20]

وأما على المعنى الثاني: فيعرف: «بالتعارض والاختلاف الواقع بين حديثين أو أكثر في الظاهر». وعليه فيكون المراد بالتعريف على الضبط الأول الحديث نفسه، بينما يراد بالتعريف على الضبط الثاني: نفس التضاد والتعارض والاختلاف.

2. أقسامه:

مختلف الحديث قسمان:

أحدهما: ما أمكن الجمع فيه بوجه صحيح؛ فيتعين الجمع ولا يصار إلى التعارض ولا النسخ، ويجب العمل بهما أو بها. ومن أمثلة ذلك حديث: «إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ». [رواه أصحاب السنن الأربعة]. وحديث: «الْمَاءُ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَى رِيحِهِ وَطَعْمِهِ وَلَوْنِهِ» [سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الحيض]. فإن الأول ظاهره طهارة القلتين تغير أم لا، والثاني: ظاهره طهارة غير المتغير سواء أكان قلتين أم قل، فخص عموم كل منهما بالآخر «والمشهور عند مالك رضي الله عنه أنه لا يتنجس إلا بالتغير ولو أقل من قلتين مستدلا بخبر بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب...»، ولا يعارض هذا حديث القلتين لعدم صحته لتضعيف مالك وغيره له» [الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، 1/125].

الثاني من القسمين: ما لا يمكن الجمع فيه، وهذا يدخل تحته نوعان:

الأول: أن يعرف المتقدم من المتأخر، فإن كان كذلك كان المتأخر ناسخا للمتقدم.

الثاني: أن لا يعلم المتقدم من المتأخر فحينئذ نسلك مسلك الترجيح فنأخذ بالراجح وندع المرجوح. والتعارض بين الحديثين إنما هو بحسب ما ظهر للناظر فيهما، وقد يمكن الجمع بين حديثين لدى عالم، ويخفى ذلك على آخر، كما أن طرق الجمع بين الحديثين قد تختلف، ومن ذلك ما أورده الحافظ ابن حجر في التمثيل لمختلف الحديث معقبا على ابن الصلاح رحمهما الله؛ فقد مثل ابن الصلاح بحديث: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيرَةَ»، مع حديث: «فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارُكَ مِنَ الْأَسَدِ» وكلاهما في الصحيح وظاهرهما التعارض، ووجه الجمع بينهما أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، لكن الله سبحانه وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا لإعدائه مرضه، ثم قد يتخلف ذلك عن سببه؛ كما في غيره من الأسباب، كذا جمع بينهما ابن الصلاح، تبعا لغيره.

والأولى في الجمع أن يقال: إن نفيه ﷺ للعدوى باق على عمومه، وقد صح قوله ﷺ: «لا يُعْدِي شيءٌ شيئاً» وقوله ﷺ لمن عارضه بأن البعير الأجرب يكون في الإبل الصحيحة فيخالطها فتجرب، حيث رد عليه بقوله: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ». وأما الأمر بالفرار من المذوم فمن باب سد الذرائع؛ لئلا يتفق للشخص الذي يخالطه شيء من ذلك بتقدير الله تعالى ابتداء، لا بالعدوى المنفية، فيظن أن ذلك بسبب مخالطته، فيعتقد صحة العدوى؛ فيقع في الحرج؛ فأمر بتجنبه حسماً للمادة، والله أعلم.

3. أشهر الكتب المؤلفة في مختلف الحديث ومشكله:

ألف المحدثون وغيرهم في علم مختلف الحديث كتباً قيمة، من أشهرها:

- «اختلاف الحديث» للإمام الشافعي: الذي يعد أول كتاب ألف في هذا الفن، ولكنه لم يقصد استيفاء مسائل هذا العلم وقضاياها، وإنما قصد أن يذكر جملة من مسائله ينبه بها على طريقه، وليكون نبراساً يسير على ضوئه من يجيء بعده من العلماء.

- «مشكل الآثار» للإمام الحافظ الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، الطحاوي، وهو من الكتب النافعة المفيدة في هذا الباب، ولم يقتصر فيه على مختلف الحديث بمعناه الفني الدقيق، بل جمع فيه إلى ذلك الأحاديث المشككة التي هي أعم من المعارضة.

- كتاب «مشكل الحديث وبيانه» للإمام الأصولي المتكلم أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك وهو من الكتب المفيدة في هذا الفن، وغيرها كثير.

أهتدي وأقتدي

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «تعلموا هذا الحديث فإذا علمتموه فتحفظوه؛ فإذا حفظتموه؛ فاعملوا به؛ فإذا عملتم به فأنشروه». [فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، السخاوي، 3/220].

التقويم

1. أعرف محكم الحديث ومختلفه.

2. أذكر أقسام مختلف الحديث.

3. أذكر أول من صنف في مختلف الحديث.

الاستثمار

قال الحافظ السخاوي في بيان أهمية مختلف الحديث: «وهو من أهم الأنواع ، تضطر إليه جميع الطوائف من العلماء ، وإنما يكمل به من كان إماما جامعا لصناعاتي: الحديث والفقه ، غائضا على المعاني الدقيقة؛ ولذا كان إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة من أحسن الناس فيه كلاما لكنه توسع حيث قال: لا أعرف حديثين صحيحين متضادين؛ فمن كان عنده شيء من ذلك فليأتني به لأؤلف بينهما ، وانتقد عليه بعض صنيعة في توسعه؛ فقال البلقيني: إنه لو فتحنا باب التأويلات لاندفعت أكثر العلل» [فتح المغيث شرح ألفية الحديث، السخاوي، 81/3].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أبين أهمية العلم بمختلف الحديث .
2. لم كان الناظر في مختلف الحديث يحتاج لصناعاتي: الحديث والفقه ، ومعرفة المعاني؟

الإعداد القبلي

أطلع الدرس القادم ، وأجيب عما يلي:

1. أبحث عن مفهوم النسخ وما يعرف به .
2. أبحث عن الفرق بين الناسخ والمنسوخ .